المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
Arab Journal for Humanities and Social Sciences
Impact factor isi 1.651

العدد الرابع والعشرون/ نيسان 2024

عبد القاهر الجرجاني و نظرية النظم

Abdul Qadir AL-Jarjani and system theory

عبدالله بن حمود بن ناصر البطاشي/ طالب دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها .

جامعة الجنان ، طرابلس / لبنان .

إشراف الأستاذ الدكتور مخائيل مسعود .

جامعة الجنان ،جامعة الجنان ، طرابلس، لبنان.

الملخص:

يتضمن هذا البحث العديد من الافكار الرئيسية و متعددة المعاني، حيث يشمل المبحث الأول دراسة شاملة للمؤلف منذ الولادة والنشأة والوفاة وشيوخه وتلامذته وآثاره العلمية قاصدا من ذلك إظهار حق العلماء و بدأ الكاتب ببعض التعريفات

فا جاء بالمبحث الاول التعريف بالمؤلف و النظرية من اسمه و ولادته و نشأته ، فبداء الباحث في المطلب الاول بالتحدث عن الشيخ الإمام مجد الإسلام أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني و عن حياته من بدايتها حتا نهايتها في تعمقه بالعلم و تحدث عن موسوعاته و ابداعاته في البلاغة و عن نجاحاته في علوم اللغة العربية.

و جاء بالمطلب الثاني الأمة الذين تتلمذ على يدهم الإمام الجرجاني .

كما اضاف الباحث في المطلب الثالث ان للإمام عبد القاهر الجرجاني فضل في نشر العلم وتبليغه للناس فقد كان طلاب العلم والوافدون يقصدونه من أقصى البلدان ويقيمون بقربه طلبا لعلمه والاستماع إلى حدثيه والأخذ عنه.

ترك الإمام عبد القاهر الجرجاني آثارا تعدُّ مصادر أساسية وتنوعت آثاره بين النحو والبلاغة والتفسير وأدب الشعر واشتهر بعض من هذه الآثار وبعضها مطبوع والبعض الآخر مازال مخطوطا فألف في النحو كتاب المغني ثلاثين مجلدا.

بعد حياة حافلة بالجد والاجتهاد متنوعة بين طلب للعلم والتدريس والتأليف انتقل الإمام الكبير مجد الإسلام إلى جوار ربه في سنة 471هجري وقيل سنة 474هـ مخلفا وراءه إرثا عظيما.

اما المبحث الثاني تطرق فيه الى دراسة النظرية والفروقات والجهود المبذولة لها وآلية تطبيقها.

فتحدث الباحث عن نظرية النظم و اهميتها في علم البلاغة و لماذا سميت بهذا الاسم و بين فروقات بين النظم والنحو ونظم الحرف.

و تعمق بجهود عبد القاهر في نظرية النظم وتطبيقاته للنظرية و عن معاناته من قومه و اهل زمانه

و اضافة الي نظرية النظم و اثرها على النقد و علاقتها في القرآن الكريم.

ختم الباحث رسالته بإستنتاجات و شكر و توصيات.

الكلمات المفتاحية: نظرية النظم ، الامام الجرجاني، الإمام عبد القاهر، علم اللغة العربية، علم البلاغة

Summary

This research includes many main ideas and multiple meanings, as the first topic includes a comprehensive study of the author since birth, upbringing, death, his sheikhs, his students, and his scientific works, with the intention of that showing the right of scholars, and the writer started with some definitions .

So, in the first topic, the definition of the author and the theory of his name, birth, and upbringing came, so the researcher started in the first requirement by talking about Sheikh Imam Majd Al-Islam Abu Bakr Abdul Qaher bin Abdul Rahman bin Muhammad Al-Jarjani and about his life from its beginning until its end in his deepening in science and talked about his encyclopedias and His creations in rhetoric and his successes inArabic Language Sciences.And the second requirement came to the nation who were taught by Imam al-Jurjani.

The researcher also added in the third requirement that Imam Abd al-Qahir al-Jurjani had a virtue in spreading knowledge and informing it to people, as students of knowledge and expatriates used to go to him from the farthest countries and reside near him seeking his knowledge, listening to his hadiths and taking from him.

Imam Abd al-Qaher al-Jurjani left works that are considered basic sources, and his works varied between grammar, rhetoric, interpretation, and poetry literature.

After a life full of seriousness and diligence, varied between seeking knowledge, teaching and writing, the great imam, Majd al-Islam, moved to the neighborhood of his Lord in the year 471 AH, and it was said in the year 474 AH, leaving behind a great legacy .

As for the second topic, it dealt with the study of the theory, the differences, the efforts exerted for it, and the mechanism of its application

The researcher talked about the theory of systems and its importance in the science of rhetoric, and why it was called by this name, and between the differences between systems, grammar and letter systems.

It delved deeper into the efforts of Abd al-Qaher in the theory of systems and his applications of the theory and his suffering from his people and the people of his time

In addition to systems theory and its impact on criticism and its relationship in the Holy Quran.

The researcher concluded his thesis with conclusions, thanks and recommendations .

Keywords: systems theory, Imam al-Jurjani, Imam Abd al-Qaher, Arabic language science, rhetoric

خطة البحث:

القسم الأول: ـ دراسة المؤلف والنظرية

المبحث الأول: دراسة المؤلف

- المطلب الأول: اسمه وولادته ونشأته.
- المطلب الثاني: شيوخه.
- المطلب الثالث: تلاميذه.
- المطلب الرابع: آثاره العلمية.
- المطلب الخامس: وفاته.

المبحث الثاني: دراسة نظرية النظم

- المطلب الأول: مفهوم النظرية.
- المطلب الثاني: لماذا اختار كلمة النظم.
- المطلب الثالث: فروقات بين النظم ونظم الحرف والنحو.
- المطلب الرابع: جهود عبد القاهر في نظرية النظم.
- المطلب الخامس: نظرية النظم وأثرها على النقد
- المطلب السادس: نظرية النظم والقرآن الكريم

القسم الثاني: ــ

- دراسة النظرية

هذا جهد المقل، وقد بذلت وسعي في اخراج هذا المخطوط بهذه الصورة، وأرجو من يطلع عليه ألا يبخل عليَّ بما يراه من تعديل يخدم الموضوع.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف والنظرية

المطلب الأول: اسمه وولادته ونشأته

هو الشيخ الإمام مجد الإسلام أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني ولد في أسرة فقيرة بجرجان[1] الواقعة في شمال إيران بين طبرستان وخراسان قرب بحر الخزر ولهذا قيل عنه الجرجاني وعاش فيها وذلك في مطلع القرن الخامس الهجري ولم يغادر مسقط رأسه أبدا، نبغ في علوم اللغة العربية وهو من علماء الكلام على مذهب الأشاعرة كان ذو نسك ودين وكان ورعا قانعا، اشتغل بالتدريس في جرجان ولم يغادرها وبرز في الشعر وحاول التكسب به ولكنه لم يوفق لذلك لحكمة أرادها الله تعالى له فعكف على التأليف والتدريس باذلا جهده في الإبداع طوال حياته فأخرج لنا موسعات قيمة لا تقدر بثمن وأهمها كتاب أسرار البلاغة وكتاب دلائل الإعجاز مع اختلاف أيهما ألف قبل ويقول العلامة محمود محمد شاكر[2] تأليف كتاب أسرار البلاغة قبل الدلائل وحجته في ذلك لأن الهدف من أسرار البلاغة كيف يفضل كلام البشر بعضه بعضا والهدف من دلائل الإعجاز كيف يفضل كلام الله كلام البشر والجدير بالذكر أن المصادر لم تذكر تاريخ مولده يقينا وإنما على سبيل الترجيح 400هـ/1010م.

[1] جرجان واقعة في شمال إيران بين طبرستان وخُرسان

[2] أديب مصري دافع عن العربية في مواجهة التغريب، اطلع على كتب التراث وحقق العديد منها، أقام منهجه الخاص في الشعر وسماه منهج التذوق، حاصل على جائزة الملك فيصل في اللغة العربية والأدب سنة 1984م، من مؤلفاته المتنبي، أباطيل وأسمار، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، نمط صعب ونمط مخيف.

ISSN: 2709-5312

المطلب الثاني: شيوخه

تتلمذ الإمام الجرجاني على يد اثنين من مشايخ العلم هما أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث الفارسي النحوي المتوفى سنة 421هجري ابن أخت العالم النحوي أبو علي الفارسي والثاني الشيخ أبو علي بن عبد العزيز الجرجاني الملقب بالقاضي الجرجاني المتوفى سنة 392هـ/1002م.

المطلب الثالث: تلامذته

للإمام عبد القاهر الجرجاني فضل في نشر العلم وتبليغه للناس فقد كان طلاب العلم والوافدون يقصدونه من أقصى البلدان ويقيمون بقربه طلبا لعلمه والاستماع إلى حدثيه والأخذ عنه وقد تتلمذ على يديه علماء كان لهم باع في حمل ونشر العلم ومنهم علي بن زيد الفصيحي وأبو زكريا التبريزي والإمام أبو عامر الفضل بن إسماعيل التميمي الجرجاني وأبو النصر أحمد بن محمد الشجري.

المطلب الرابع: آثاره العلمية

ترك الإمام عبد القاهر الجرجان آثارا تعدُّ مصادر أساسية وتنوعت آثاره بين النحو والبلاغة والتفسير وأدب الشعر واشتهر بعض من هذه الآثار وبعضها مطبوع والبعض الآخر مازال مخطوطا فألف في النحو كتاب المغني ثلاثين مجلدا وهو شرح لكتاب الإيضاح في النحو وكتاب المقتصد يقع في ثلاثة مجلدات وهو ملخص لكتاب المغني وكتاب التكملة وكتاب الإيجاز وكتاب الجمل والتلخيص وهو شرح لكتاب الجمل وكتاب العوامل المئة في النحو والعمدة في التصريف وكتاب العروض وألف في الشرح والتفسير القرآني كتاب المفتاح وشرح الفاتحة في مجلد واحد وكتاب المعتضد شرح كبير لكتاب إعجاز القرآن لأبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي وكتاب شرح الإعجاز الصغير وكتاب الرسالة الشافية، وقد برع في علوم البلاغة فألف كتاب دلائل الإعجاز وكتاب أسرار البلاغة وكتاب التذكرة وفي الشعر ترك مصنفا واحدا اسماه المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام.

المطلب الخامس: وفاته.

بعد حياة حافلة بالجد والاجتهاد متنوعة بين طلب للعلم والتدريس والتأليف انتقل الإمام الكبير مجد الإسلام إلى جوار ربه في سنة 471هجري وقيل سنة 474هـ مخلفا وراءه إرثا عظيما أصبح من يأتون بعده عالة عليه فخدم العلم واللغة والكتاب العزيز ولا غرابة في ذلك فهو إمام البلاغة والفصاحة آنذاك.

المبحث الثاني: نظرية النظم

المطلب الأول: منهجية البحث:

1- قسمت هذا البحث إلى مبحثين كل مبحث يتألف من خمسة مطالب اشتمل المبحث الأول على دراسة شاملة للمؤلف منذ الولادة والنشأة والوفاة وشيوخه وتلامذته وآثاره العلمية قاصدا من ذلك إظهار حق العلماء والمبحث الثاني تطرقت فيه دراسة النظرية مفهوما واخيارا لها والفروقات والجهود المبذولة لها وآلية تطبيقها.

2- إبداء رأيي القاصر في بعض المسائل المطروحة.

3- اعتمدت كثيرا على كتاب دلائل الإعجاز في علم المعاني للإمام الجرجاني مع اقتباس بعض النصوص منه لإبداء رأي الإمام

4- التعريف بالأعلام المذكورين والبلدان

المطلب الثاني: مفهوم النظرية ولماذا كلمة النظم؟

تعتبر نظرية النظم من النظريات المهمة في علم البلاغة التي أسسها الإمام عبد القادر الجرجاني مع العلم بأنه ليس أول من كتب فيها ولكنه فهم معانيها وسبر أغوارها ووظفها التوظيف الأمثل في النص العربي، النظم التأليف، نظمه ينظمه نظما ونظاما ونظّمته فانتظم وتنظم، والنظم المنظوم وصف بالمصدر، والنظم ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما، واحدته نظمة ونظْم الحنظل:

حبُه في صِيصائه[1]، والنظم في اللغة المنظوم يقال نظم من لؤلؤ ويقال أتانا نظم من جراد: صف كثير منه، والنظم هو الكلام المقفى، وهو خلاف النثر، ويقال نظم القرآن: عبارته التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة، وأطلق على بعض الكواكب المنتظمة ومنها الثريا[2]، وجاء في معجم المصطلحات البلاغية وتطورها النظم: التأليف، نظمه ينظمه نظما ونظاما، ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك.[3]

أما النظم اصطلاحا عند البلاغيين هو تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النحو والموضوعة في أماكنها على الوضع الذي يقتضيه العقل، وقد عرّف الإمام عبد القاهر الجرجاني النظم فقال هو مدار الكلام في دلائل الإعجاز وعرفه أيضا بقوله (اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو.

وقد يسأل بعضهم لماذا اختار الإمام الجرجاني لفظة **(النظم)** وجوابه أن هذه اللفظة كانت متداولة وشائعة في زمانه وقبل زمانه فقد استعملها الجاحظ في كتابه نظم القرآن والواسطي أيضا، وقد نظر في معناها فوجدها بمعنى ضم الشيء إلى شيء آخر وكذلك ما نظمته من اللؤلؤ والخرز وغيرهما وأنه رأى بأن العقد يرتفع ويغلو ثمنه عن غيره من العقود بالرغم من أن اللؤلؤ والخرز فيهما بوصف واحد لا يتميز عنهما ويرجع ذلك لما طاله من تنسق وتنظيم في حبات خرزه ولؤلؤاته فحين تضع الكبيرة في الوسط مثلا متجانسة مع الأخرى في اللون والحجم والمكان يكون العقد اكتسب جمالا من التنسيق والتهذيب فتقر به النفس وتبهج لحسن ترتيبه وخلاف هذا الترتيب والتنسيق تنفر النفس منه ويكون غير منتظم لأن التنسيق جاء عشاوئيا ومن هذا المعنى الحسي أخذ الجرجاني كلمة النظم لما وجده أن الكلمة مرتبطة بالكلمة الأخرى في المعنى ومتممة لها وبينهما علاقة وثيقة لا تنفك عنها فمن هذه اللفتة الفطنة من الإمام الجرجاني تنبه إلى علم المعاني ومنها إنقدحت فكرة النظم في ذهنه.

[1] انظر: لسان العرب، لابن منظور الإفريقي المصري، الناشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط3 ــ 1419هـ ـ 1999م، ص196.

[2] انظر: المعجم الوسيط، ج2، ص973.

[3] انظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، تأليف الدكتور أحمد مطلوب، الناشر مكتبة لبنان، الطبعة 2، ص660.

المطلب الثالث: فروقات بين النظم والنحو ونظم الحرف

في المطلب الثاني عرفنا لفظة النظم ويحسن أن نذكر الفروقات بينها وبين كل من الحرف والنحو فنظم الحروف ترتيبها في النطق وتواليها لا بمقتضى المعنى، والنظم يطلب ترتيب المعاني وتنسيق الكلمة بالأخرى لمعنى يريده الناظم ولشعور نفسي ينقدح في ذهنه يفصح عنه من خلال ترابط اللفظة بأخرى وعلاقتها بها ويظهر جليا في السطور لأهل البلاغة والفصاحة، وأي تغير في اللفظة يقابلها تغير في المعنى المطلوب

منها وهنا يكمن سر الإبداع وحبك الكلمات وسبكها وتظهر روعة وجمال اللغة العربية ورصانتها، وهنا تعريف يبين لنا الجرجاني العلاقة بين علم المعاني وعلم النحو بقوله (واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تبخل بشيء منها).

والفرق الجوهري بين علم النحو وعلم المعاني هي أن معاني النحو ثابتة لا تحتاج إلى عناء وجهد أما علم المعاني فراجع إلى حسن التخيير والنظر في الأبواب كصور الخبر من تقديم وتأخير وحذف وكالحصر وفي الأساليب من شرط وتوكيد وتخصيص وهذا يتطلب من الناظم الذوق والحس البلاغي والملكنة النحوية والنظرة الأدبية والفصاحة السليمة فالبلاغة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنحو لا تغادرها قيد انملة، فعندما يستحكم النحو على النص تأتي البلاغة تضفي عليه جمالياتها وتلقي عليه جلباب الحسن والفصاحة ودقة المعاني التي تتمشى مع فصاحة الحس العربي، وقد أفرد الإمام الجرجاني فصلا جميلا يتحدث عن هذه اللفتة البلاغية في كتاب دلائل الإعجاز اسماه (النظم يتحد في الوضع ويدقع في الصنع) قال فيه: اعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض وتشتد ارتباط ثان منها بأول وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك نعم وفي حال ما يبصر ما كان ثالث ورابع يضعها بعد الأولين)

ISSN: 2709-5312

المطلب الرابع: جهود عبد القاهر في نظرية النظم وتطبيقاته للنظرية

عانى الإمام عبد القاهر في هذه النظرية من قومه وأهل زمانه حيث كانوا لا يفقهون هذا الإبداع الغير مسبوق فالفكرة التي قام عليها كتابه دلائل الإعجاز كانت عن بلاغة الكلام وهذه البلاغة مستقرة في النظم، والنظم متعلق بمعنى الكلم بعضه ببعض وليس ذلك سوى أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه

علم النحو، ويمكن لي أن أذكر هنا بعض آراء الإمام الجرجاني حول نظم الكلام التي نثرها في صفحات كتابه دلائل الإعجاز والتي تحسب أيضا من جهوده وهي: - [1]

1- ليس المقصود بالنظم ضم الشيء إلى الشيء كيفما اتفق، بل لابد فيه من تتبع آثار المعاني واعتبار الأجزاء مع بعضها.

2- المهم معرفة مدلول عبارات النحو لا العبارات نفسها.

3- لا ينكر تعلق الفكر بمعاني الكلم المفردة أصلا ولكن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم مجردة عن معاني النحو.

4- الاستعارة وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النحو.

5- لا بد في النظم من أن تتلاقى معاني الكلمات على الوجه الذي يقتضيه العقل.

6- ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، أي أن تتوخى فيه معاني النحو.

7- لا نظم ولا ترتيب للكلم حتى يتعلق بعضها ببعض.

8- الألفاظ أوعية للمعاني وخادمة لها.

ومن جهود الإمام عبد القاهر أنه هاجم تلك الحملة التي كانت تهتم باللفظ دون المعنى وتصدى لها بالدفاع المستميت، وتصدى كذلك إلى من نادوا بإهمال الشعر والانصراف عنه إلى النحو واعتبر هذه الدعوة أي دعوة إهمال الشعر اعتبرها صدا عن سبيل الله حيث قال: الصاد عن تعلم الشعر العربي والنحو العربي كالصاد عن سبيل الله.

وأما عن تطبيقات الإمام عبد القاهر لنظرية النظم فقد كانت نظرية النظم موجودة قبل الجرجاني ولكن كانت مبثوثة في السطور منثورة لا يستفاد منها إلا ما ندر وقلّ من تنبه لها والذين فطنوا إليها لم يعيروها ذلك الاهتمام البالغ وإنما يشيرون إليها

[1] كتاب الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني. جعفر دك الباب، مطبعة الجليل، دمشق، الطبعة الأولى، 1400هـ/1980م.

ISSN: 2709-5312

بإشارات لم تكسبها حقها وتخرجها إلى حيز السطور إلى حيز الوجود والتطبيق أو تستخلص منها تلك المعاني الدفينة الكامنة في جنباتها، وأول من استعمل لفظة النظم صاحب كتاب كليلة ودمنة ابن المقفع[1] (ت 142) فقد أشار إلى نظم الكلام وأن الناظم كصاحب الفصوص وجد ياقوتا وزبرجدا ومرجانا فنظمه قلائدا وسموطا وأكاليلا ووضع كل فص موضعه وجمع إلى كل لون شبه مما يزيده بذلك حسنا فسمي بذلك صائغا رقيقا ومن بعده جاء الجاحظ[2] (ت250هـ) وله كتاب في هذا الموضوع اسماه نظم القرآن، وابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن عبدالمجيد[3] (ت 276 هـ)، وأبو الحسن الرماني[4] (ت 384هـ)، والقاضي عبدالجبار[5] (ت 415 هـ) حتى جاء الإمام الجرجاني وتمعن في النص وتفحصه فرأى أن اللفظة الواحدة تحمل معان كثيرة ويعود ذلك على مدى موقعها من اللفظة الأخرى وارتباطها بها مثل التقديم والتأخير والحذف والاستعارة والاستفهام و التكرار والإظهار والإضمار والفصل والوصل، وقد شرح الإمام عبد القاهر نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز وتوسع في شرحها فقال في المقدمة (معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعْل بعضها بسبب من بعض والكلم ثلاث اسم وفعل وحرف وللتعليق فيما بينها طرق معلومة وهو لا يعدو ثلاثة أقسام تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل

[1] أبو محمد عبد الله روزبه بن داذوية المشهور بابن المقفع الفارسي الأصل، العربي الدين واللغة والجنسية، ولد حوالي 724 ميلادية – 106 هجرية في قرية بفارس اسمها (جور)، من كتبه الشهيرة كليلة ودمنة. انظر اثار ابن المقفع، تأليف دارة مكتبة الحياة، الناشر دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان 1978م، ص5.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني البصري ولد عام 150 هجري /767ميلادي، وتوفي في المحرم عام 255هجري، يناير 868 ميلادي، وعاصر اثني عشر من خلفاء بني عباس، له الكثير من المؤلفات لعل اشهرها كتاب البيان والتبين ، كتاب الحيوان، كتاب البخلاء، كتاب الحيوان، رسالة التربيع والتدوير. انظر أبو عثمان الجاحظ، تأليف الدكتور محمد عبدا لمنعم خفاجي، الناشر دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط1، ص17.

[3] هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المروزي، أصله فارسي من مدينة مرو، ولد في بغداد شهر رجب سنة 213هجري، اختلف في وفاته فقيل في ذي القعدة سنة سبعين وقيل احدى وسبعين، وقيل أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين والأخير أصح الأقوال، من مؤلفاته مشكل القرآن وغريبه، انظر القرطين لابن مطرق الكناني، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت – لبنان، ص1.

[4] هو أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله الرماني، ولد في سنة 296 هجري ويعود نسبه إلى سامراء، له مؤلفات كثيرة جدا منها تفسير القرآن، شرح سيبويه للرماني، التصريف، صنعة الاستدلال، نكت الأصول، معاني الحروف، رسالة الحدود، منازل الحروف، النكت في إ'جاز القرآن، وغيرها كثير، انظر المكتبة الشاملة 2005 – 2011م.

[5] عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار أبو الحسن الهمداني الأسدابادي شيخ المعتزلة في عصره كان فقيها على مذهب الشافعي، انظر موسوعة طبقات الفقهاء، تأليف اللجنة العلمية في مؤسسة الامام الصادق، الناشر بيروت دار الحكمة، ج4 ص157.

وتعلق حرف بها[1] وقد قام الإمام الجرجاني بتطبيق هذه النظرية على النصوص ليرى صحة ما توصل إليه ويبرهن على صحة نظرية النظم فقد وظفها في باب التقديم والتأخير والحذف وسأذكر بعض الشواهد التي ذكرها الإمام الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز وسأقتصر عليها خشية التطويل.

1- التقديم والتأخير

ويقول عنه الجرجاني هو باب كثير الفوائد وعظيم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية وهو على طريقين هما:

أ- تقديم على نية التأخير:

مثل خبر المبتدأ وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم ومع ثبوت حكمه الذي كان عليه من قبل وفي جنسه الذي كان فيه ومثاله كخبر المبتدأ عندما نقدمه على المبتدأ وعند تقديم المفعول على الفاعل كقولك **(منطلق زيد)** فالإعراب كما هو ثابت مبتدأ وخبر مقدم ولكن النكتة البلاغية تختلف عما لو قلنا مثلا **(زيد منطلق)** وكقولك **(ضرب عمرا زيد)**؛ فمنطلق وعمرو لم يخرجا بالتقديم عما كان عليه من الحكم الإعرابي ولكن ثمت معنى يكون فيه الأول أبلغ من الثاني.

ب - **تقديم لا على نية التأخير** ولكن على نقل الشيء من حكم إلى حكم آخر وتجعله في باب غير بابه وإعرابا غير إعرابه ويتأتى ذلك في اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ وكذلك يحتمل أن يكون خبرا أيضا ومثاله أن تقول مرة (زيد المنطلق) ويمكن أيضا أن تقول (المنطلق زيد)؛ فالمثال الأخير المنطلق زيد نقلنا المنطلق من بابها الأصلي وهي الخبر إلى باب المبتدأ وكذلك الحكم وتسلط عليه عامل الابتداء، ومثال آخر على هذا الباب كقولنا **(ضربت زيدا)** و**(زيد ضربته)** ففي هذا المثال لم نقدم زيدا على أن يكون مفعولا حسب حكمه وموقعه الإعرابي وإنما نقلناه ليكون مبتدأ فتغير الحكم والإعراب فكان مبتدأ مرفوعا وشغلنا الفعل بضميره وجعلناه في موضع الخبر له، وهنالك مثال آخر أبين في باب التقديم والتأخير وهو الاستفهام بالهمزة فإذا قلت مثلا **(أكتبتَ الدرس؟)** وبدأت بالفعل كان الشك في الفعل وقصدك من الاستفهام هل حصل وقوع الفعل أو لم يحصل وإذا قلت **(أأنت كتبتَ الدرس)** وبدأت بالاسم بعد همزة الاستفهام كان حاصل استفهامك منصب على الفاعل

[1] انظر دلائل الإعجاز في علم المعاني، تأليف عبد القاهر الجرجاني، ص57.

ISSN: 2709-5312

من هو وكان التردد فيه، فهذه الفروقات في التقديم والتأخير لها فائدة عظيمة ومعان تنبه إليها الإمام الجرجاني وشرحها في كتابه دلائل الإعجاز في فصل القول في التقديم والتأخير، ومن أمثلة التقديم والتأخير هناك تقديم في المسند إليه مع الاستفهام التقريري والانكاري ومثاله قوله تعالى **﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾**[1] وكذلك التقديم والتأخير في الاسم والمضارع مع الاستفهام ومثاله قوله تعالى**﴿ أنلزمكموها وأنت لها كارهون﴾**[2].

وكذلك في البيت الشعري

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ..... ومسنونه زرق كأنياب أغوال[3].

وكذلك التقديم والتأخير في الاستفهام على سبيل التشبيه والتمثيل ومثاله قوله **﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى ومن كان في ضلال مبين﴾**[4] ومثاله أيضا قول ابن أبي عيينة :

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ..... أطنين أجنحة الذباب يضير؟[5]

وكذلك أيضا تقديم المفعول على الفعل مع الاستفهام **﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾**[6].

مزايا التقديم والتأخير:

أ - لتقديم وتأخير الخبر بلاغة ومزايا منها: -

1- زيادة المعنى مع تحسين اللفظ ومثاله **﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربها ناظرة﴾**[1].

---

[1] سورة الأنبياء آية رقم 62.

[2] سورة هود آية رقم 28.

[3] لمرئ القيس من قصيدة مطلعها (ألا عم صباحا أيها الطلل البالي..... وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟) وهي من البحر الطويل

[4] سورة الزخرف آية رقم 40.

[5] ابن أبي عيينه (عبد الله بن محمد) شاعر عباسي أنشد هذا البيت في قصيدة يرد فيها على أحد أحفاد الحسين مطلعها (أعلي إنك جاهل مغرور ... لا ظلمة لك لا ولا لك نور) وهي من بحر الكامل.

[6] سورة الأنعام آية رقم 40.

ISSN: 2709-5312

2- زيادة المعنى فقط ومثاله **﴿بلِ اللّهَ فاعبدْ وكنْ منَ الشاكرينَ﴾**[2].

وكذلك تقديم المسند إليه لأغراض ومنها: -

1- للتشويق ولتمكين الخبر في ذهن السامع ومثاله **﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**[3].

2- تعجيل المسرة للتفاؤل ومثاله (الحكمة في قلوب أفواه المخلصين).

ب - تقديم المسند له أغراض ومنها: -

1- تخصيص المسند ومثاله **(لكم دينكم ولي دين)**[4] فالمسند إليه (دينكم) والمسند (الجار والمجرور لكم) فتم تقديم المسند على المسند إليه لتخصيص المسند وهو (لكم)

2- التنبيه على أن المسند خبر لا نعت ومثاله ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾[5]

2- **الحذف:**

قال عنه الإمام الجرجاني (هو باب دقيق المسالك ليطف المآخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فاتك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت إن الإفادة أزيد للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن؛ وهذه جمل قد تنكرها حتى تَخبُر)[6] ومثال على الحذف هذا البيت الشعري

ديار ميّة إذ ميٌّ تساعفنا ..... ولا يرعى مثلها عجم ولا عرب.

فالشاهد هنا نصب ديار على إضمار فعل كأنه قال: أذكر ديار مية. وهذا باب واسع تركته خوف التطويل واكتفيت بذكر مثال واحد على ذلك.

---

[1] سورة القيامة آية رقم 22.

[2] سورة الزمر آية 66

[3] سورة الحجرات آية رقك 13

[4] سورة الكافرون آية رقم 6.

[5] سورة البقرة آية رقم 36.

[6] دلائل الإعجاز ص 177

ويرى الجرجاني أن القرآن الكريم معجزاً في معناه بغض النظر عن الأخبار الواردة فيه ويرى أن الفصاحة والبلاغة تقومان على ضم الكلمات وتقارنها[1] وقال الباقلاني[2]: ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها وكونها على وزن ما أتى به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومترتبة في الوجود وليس لها نظم سواها، كما ذهب الزمخشري إلى أن القرآن الكريم معجزاً في نظمه وأخباره ولكل منهما دليل يبرهن به على صحة ما اختاره من رأي وأرى في هذه المقارنة صحة ما ذهب إليه الزمخشري فالعلم الحديث والتقدم العلمي يكاد يثبت لنا يومياً حقائق كشف عنها الكتاب العزيز سواء كانت بلاغية أو علمية أو اقتصادية أو اجتماعية وما يظهره العلماء من حقائق في هذا العصر ما هو إلا دليل على إعجاز القرآن الكريم وتأكد صواب رأي الزمخشري وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن الإعجاز العلمي في قوله تعالى ﴿**مثلُ الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**﴾[3] فمن المعلوم بأن كلمة العنكبوت تطلق على الذكر والأنثى من العنكبوت، ولكن القرآن أوضح لنا أن الذي يقوم ببناء بيت العنكبوت هي الأنثى وليس الذكر ولذلك جاء بتاء التأنيث في الفعل (اتخذ) للدلالة على هذه الحقيقة العلمية والتي أبهرت العلماء وبينت أن هذا الكتاب ليس من عند بشر وأظهرت صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأنى له بهذه الحقيقة والتي تحتاج إلى مختبرات وتدقيق علمي وتحاليل وهو في تلك الحقبة قبل اكتشاف هذه التقنيات، وكذلك من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ما اكتشفه العالم الإسترالي في قوله تعالى ﴿**حتى إذا أتوا على وادِ النمل قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**﴾[4] فقد تضمنت هذه الآية إعجاز القرآن الكريم والذي يتعلق بحشرة النمل والمبين في لفظة **(يحطمنكم)**، حيث أن التحطيم ذكر معناها في المعجم حطمه يحطمه حطما أي كسره وحطّمه فانحطم وتحطم. الأزهري الحطام ما تكسر من اليبيس والتحطيم التكسير.[5] فقال المشككون في القرآن الكريم بأن لفظة **(يحطمنكم)** من التحطيم والتكسير فكيف يكون لنملة

[1] دلائل الإعجاز

[2] الإمام القاضي محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر المكنى بأبي بكر صاحب كتاب مناقب الأئمة الأربعة

[3] سورة العنكبوت آية رقم (41)

[4] سورة النمل آية رقم (84)

[5] لسان العرب ج3 ص 226

ISSN: 2709-5312

أن تتحطم فهي غير قابلة للتحطيم والتكسير، حيث اكتشف العالم الإسترالي أن النمل يحتوي على نسبة كثيرة من مادة الزجاج ولها غطاء خارجي يسمى (الهيكل الخارجي) فبضغطة عليه يتحطم ويتكسر فتموت النملة، وعليه فإن لفظة **(يحطمنكم)** جاءت بالمدلول العلمي الذي يتركب منه النمل، ولا زال العلم الحديث يعرض لنا إعجازات علمية تحدث عنها القرآن الكريم قبل 1439 سنة؛ فلله الحمد على هذه الوسائل التي أظهرت هذه الحقائق[1].

المطلب الخامس: نظرية النظم وأثرها على النقد

لقد أصبحت نظرية النظم المرجع الأساس للنقاد والباحثين فهي بمثابة المعيار الذي يوضح الصورة البيانية، ومنهجا لدراسة اللغة والأدب، وأضفت صبغة جمالية على الأعمال الأدبية لم تكن معهودة من قبل عهد الإمام الجرجاني تمثلت في البلاغة والفصاحة مما تجعل الأديب يضع نصب عينيه قوانين

النظرية عند تأليف النصوص أو عند نقدها وتحليلها مما ينتج لنا نصوص ذا قيمة أدبية وعلمية متفقة وقواعد اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وتختزل ألفاظ قليلة لها معان بلاغية كثيرة وذوق مؤثر على النفس مما يجعل القارئ يحس بعذوبة اللغة العربية وجمالها ودماستها وهذا ما حصل بالطبع في القرآن الكريم حيث أظهرت النظرية مدى الإعجاز البلاغي في آياته، ومن هذه النظرية استمد تشو مسكي[2] وغيره من الغربين فكرة البنية العميقة والبنية السطحية مع العلم بأن الغاية التي كان يرمي إليها الإمام عبد القاهر الجرجاني من هذه النظرية هي تحسين التعابير وصياغة الألفاظ بطابع لغوي رفيع المستوى كي يتفق التعبير مع الصورة الذهنية والحقيقة المرسومة في ذهن السامع والقارئ والمتكلم بدون تكلف أو زيادة ونقصان وهذا ما جاء صريحا في قوله **(واعلم أن الفائدة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر فيما ذكرت لك من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة من غير أن تغير في لفظه شيئا أو تحول كلمة عن مكانها إلى مكان آخر وهو الذي وسع مجال التأويل والتفسير حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير وهو على ذلك الطريق**

[1] https://youtu.be/wogimzQngdQ

[2]

المذلة الذي ورط كثيرا من الناس في الهلكة وهو مما يعلم به العاقل شدة الحاجة إلى هذا العلم وينكشف معه عوار الجاهل به)

وقد بنى عبد القاهر نظرية النظم على فكرة أن النظم يقوم على أساس الفكر والترتيب.

المطلب: السادس نظرية النظم والقرآن الكريم

استمد الإمام عبد القاهر الجرجاني فكرة نظرة النظم من القرآن الكريم فقد كان أول أمره أن قرأ كتاب سيبويه في النحو وكتاب الجاحظ ومن سبقه في علوم اللغة من نحو وأشعار وأدب فاستوعب هذه الأشعار والحكم والمعاني فحاول أن يسقط هذا الفهم والاستنباط الذي اكتسبه على آيات الكتاب العزيز فبهره إعجاز آياته البينات وما رأى من البلاغة والفصاحة ومن البيان الذي لا نظير له، كيف لا وهو كلام رب البشر أنزله على أفصح الناس لسانا وتحداهم بأن يأتوا بمثله أو بعض منه أو بآية فعجزوا ووقفوا أمام هذا الكتاب حيارى فهذا الوليد بن المغيرة قال لقومه (فو الله ما فيكم من رجل أعلم بأشعار الجن مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته). فقد وقفوا حيارى أمامه عاجزين عن الإتيان بمثله وقد الإمام الجرجاني عن سر عجزهم عن الإتيان بمثله وفسر إعجابهم به فقال(أعجزهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم في مبادي آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل، مساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب، ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو مكانها ولفظة ينكر شأنها ويرى أن هناك أصلح هناك أو أشبه أو أحرى بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاما والتئاما وإتقانا وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيافوخه السماء موضوع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول.

خاتمة

الحمد لله الذي وفقني لكتابة هذا البحث المتواضع في نظرية النظم للإمام عبد القاهر الجرجاني مع العلم بأنه جهد مقل تركت كثيرا من الأبواب لبضاعتي المزجاة وقصر باعي في هذا العلم وإنما جاء تشجيعا لي من الأستاذ الدكتور/ عبد المجيد بنجلالي الذي حرص بأن يجعل مني ومن زملائي طلبة علم نقّادا لهم حس نقدي وذخيرة أدبية فجزاه الله عنا خير الجزاء.

وبعد هذا التطواف في نظرية النظم أستخلص ما يلي:

أولا: نظرية النظم تحتاج إلى دراسة معمقة من أهل البلاغة والفصاحة وذي خبرة في هذا الفن.

ثانيا: الإمام عبد القاهر يعد مؤلف البلاغة مع العلم بأنه لم يكن أول من كتب فيها ولكن كان لكتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة الأثر الكبير في فهم البلاغة وكل من جاء بعده أصبح يستقي من هاذين الكتابين.

ثالثا: عاش الإمام عبد القاهر الجرجاني بين قوم لا يفهمون نظرية النظم حيث قال في كتابه دلائل الإعجاز (أهل زماني لا يفهمون هذا)

رابعا: الارتباط الوثيق بين علوم اللغة العربية بكل أنواعها مع نظرية النظم.

خامسا: الإمام الجرجاني اطلع على كتب علماء اللغة من نحو وشعر وأدب وغيرها من فنون اللغة وبعد أن وعاها واستوعب مضمونها ظهرت له نظرية النظم واستخلصها بعد فهم دقيق وتمعن في أساليب اللغة كالتقديم والتأخير والحصر والحذف والاستعارة والاستفهام والتعريف والتنكير وغيرها.

سادسا: المتصفح لكتاب دلائل الإعجاز للإمام الجرجاني يجده أغلب شواهده من الشعر العربي بالرغم أن عنوان الكتاب يوحي على دلالة الإعجاز في القرآن الكريم ومقصده من ذلك بأننا لن نعرف كلام الله إلا إذا فهمنا كيف يتفاضل كلام البشر عن بعضهم البعض.

المصادر والمراجع

1) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، تأليف الدكتور أحمد مطلوب، الناشر مكتبة لبنان، الطبعة 2

2) كتاب الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني. جعفر دك الباب، مطبعة الجليل، دمشق، الطبعة الأولى، 1400هـ/1980م.

3) لسان العرب، لابن منظور الإفريقي المصري، الناشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ط3 ــ 1419هـ ـ 1999م.

4) المعجم الوسيط، ج2.

5) دلائل الإعجاز في علم المعاني، تأليف الإمام عبد القاهر الجرجاني، الناشر أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع.

6) شبكة المعلومات العالمية (https://youtu.be/wogimzQngdQ).

ISSN: 2709-5312